حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ، قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ)[1].

عَاصرتُ مَن تصدَّق بالآلاف، لَكنَّه كَان حَريصاً على ذِكر اسمِه وَلَقبِه، فَأخمَدَ اللهُ ذِكره، ورأيتُ من تَصدَّق بِشقِّ تمرةٍ[2] فَطابتْ نفسُه، ورضي عَنه ربُّه، ونَظُنُّ أنَّ الله يُربيها له حتَّى تَصيرَ كَالجبلِ العظيم[3].

لَقد استضافَنا النَّاسُ واستضفنا النَّاسَ، ووجدنا لِهذا حَلاوةً عظيمةً، فالضَّيفُ يَأتي برزقِه، ويُبارِكُ لأهل البيت إذا أكرموه، والخَاسِرُ مَن بَخِل واستغنى في هذه الجَولة، فَقد كَانت المَرحلةُ سَاحةً خَصبةً لترك الشُّح، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: 9].

لَقد رأيتُ مِن البَعض حُبَّاً للنَّفس وطَمعاً وحِرصاً عَجبتُ منه، في ليلةٍ مِن اللَّيالي اشتدَّ القَصفُ علينا، فانتقلنا مِن منطقةٍ إلى أخرى، خَرجنا قَبل المَغرب واستمرَّ تَحرُّكُنَا حتَّى أذانِ العِشاء، فوقفنا على بَاب بيتٍ -أتحفظ عَن ذِكر اسمه-، كُنَّا مُرهقين جداً، والقَذائف تَصرخُ مِن حَولنا، وَطائرةُ الكواد كابتر تُراقب كلَّ حَركةٍ في المَنطقة، كُنَّا شَباباً نَلبس لِباساً مَدَنِيَّاً، ومَعَنا غِطاءٌ للنَّوم فقط، وكان عتادُنا في منطقة أخرى مُتَوجِّهين إليها، استأذنَّا مِن القَوم أن نَبيتَ عِندهُم ليلةً فقط، وَفي صَباح اليَوم التَّالي نَخرجُ في سَبيلِنا، لَم أتَوقَّع أن يَرفُضوا، لَقد رَفَضُوا إدخَالنا، وَقَالُوا: مَظهَرُكُم أنَّكم مُجاهدون، وَقد تُسَبِّبُون لَنا خَطراً، قُلتُ لهم: نَحنُ لَيس مَعَنا أيُّ شيءٍ يُشكِّل خطراً، ليلةٌ ننامُها نَرتاحُ مِن التَّعب ثُمَّ نَمضي، فَرَفَض!!

(1) صحيح البخاري، حديث رقم 1419.

(2) بفضل الله تقاسمنا في هذه الحرب الخبزة والتمرة والحبة والثمرة مرات كثيرة.

(3) أخرج الإمام البخاري في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: (مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ).حديث رقم:1410.